บทความทางวิชาการ

دور الشعر في تفسير القرآن

عماد الدين مخلوف عبدالحليم*

ملخص

يتناول هذا المقال الدور الذي قام به الشعر العربي في تفسير القرآن، واعتماد كثير من المفسرين وأصحاب الدراسات القرآنية على الشعر والاستشهاد به فيما وقف أمامهم من ألفاظ القرآن الكريم، وأول هؤلاء: ترجمان القرآن، وحبر الأمة ابن عباس الذي يُعد من أبرز المفسرين وأكثرهم استشهادا بالشعر على غريب القرآن. وقد اعتمدتُ في هذا المقال على المنهج الوصفي بعد تناول أراء العلماء والكتاب بالتحليل والترتيب وعرضها بصورة تدريجية، بادئا بعرض مفهوم الشعر عند أهل اللغة والأدباء والنقاد، ثم عرض موقف الإسلام من الشعر والشعراء مبينا عدم صدق من يعتقد أن الإسلام نبذ الشعر والشعراء، وانتهيت بعرض بعض المواقف التي تعرض لها ابن عباس في استشهاده بالشعر على غريب القرآن الكريم، وتأكيد عمر بن الخطاب وابن عباس على أهمية الشعر في تفسير كتاب الله، باعتباره فناً من فنون اللغة الذي اشتمل على مادة أصيلة للغات العرب.

Abstract

This article deals with the role played by poetry in the interpretation of the Qur'ān, and the adoption of many explainers and owners of Qur'ān studies poetry and martyrdom with words of the Qur'ān, the first of these: The Qur'ān Translator, and nation's ink, Ibn Abbās, who is one of the most prominent and most explainer quotes on poetry stranger words of Qur'ān. I adopted in this article on the descriptive approach after addressing the views of scientists, writers by the analysis, arrangement and presentation of them gradually, starting introduced the concept of poetry based on writers and critics of language, then introduced Islam's perspective on poetry and poets showing lack of sincerity to believe that Islam and abandon the ten poets, and finished presenting some Attitudes of Ibn Abbās in his martyrdom with words of the Qur'ān, and the proofing of Omar Ibn Khaṭṭāb and Ibn Abbās for the importance of poetry in interpreting the book of Allah as one art of language arts which include the original rules of the Arabic languages.

* ماجستير في الأدب العربي، ومحاضر بقسم اللغة العربية بجامعة جالا الإسلامية.

مقدمة

إن أشرف العلوم علم كتاب الله عزّ وجلّ، فقد أنزله على خير خلقه، بلسان عربي مبين، هدىً للمتقين، ورحمةً وشفاءً للعالمين. وحثّ النبي ﷺ على تعلّمه وتعليمه، فقال فيما روى عنه عثمان بن عفان رضي الله عنه:

"خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرآن وَعَلَّمَهُ"

(البخاري، فضائل القرآن، رقم:5027).

والذين يعكفون عليه تلاوةً وحفظاً وتدبراً، ويتدارسونه، ويمتثلون أوامره ونواهيه، سمّاهم النبي صلى الله عليه وسلّم (أهل القرآن) وبشّرهم بأنهم أهل الله وخاصته. فقـــد أخرج الإمام أحمد في مسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"إِنَّ لله عزّ وجلّ أهلين قِيْلَ:مَنْ هُمْ يَا رَسُولُ الله؟ قَالَ: أَهْل القُرآن، هُمْ أَهْلُ الله وَخَاصَتِه"

(أحمد، مسند، د.ت، 19: 305).

وقال رسول الله ﷺ:

"وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده"

(مسلم، الذكر، رقم: 2699)

فأهل القرآن هم الذين اتصلوا به من كل طريق فرفعهم الله في الدنيا والآخرة قال الله تعالى:

﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾

(الزخرف، 43: 44).

وروى الإمام مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ:

"إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين"

(مسلم، فضائل القرآن، رقم: 817).

ولذلك اعتنى المسلمون بهذا الكتاب خير عناية منذ العهد الأول إلى يومنا هذا وسيستمر إلى أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها، وفي ذلك دليل على حفظ كتابه تبارك وتعالى حيث قال:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

(الحجر، 15: 9).

وأول ما يحتاج إليه المسلم لفهم القرآن معرفة معاني ألفاظه.

"روى أبو عُبيد بإسناد له عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: أعربوا القرآن (والتمسوا غرائبه)" (الرازي، 1994 م، ص: 124).

ومن ثم كان علم غريب القرآن من أول العلوم التي نشأت ودوّنت في التاريخ الإسلامي، وقد عني به علماء اللغة وغيرهم عناية عظيمة، فكثر التأليف فيه كثرة لا يأتي عليها الحصر، وأول ما عرف من ذلك ما روي عن ابن عباس- رضي الله عنه- حيث كان يُسأل عن معاني بعض ألفاظ القرآن الكريم فكان يستشهد عليها بأبيات من الشعر الجاهلي، والذي ساعده على ذلك معرفته الواسعة بأحوال العرب ولغتهم. (السيوطي، 2003، ج2،ص:323). لذا يعتبر ابن عباس أول من خطا بالتفسير من دائرة المأثورات إلى دائرة الاستعانة بلسان العرب فيما لم تتعرض له المأثورات. وقد ازداد هذا الاتجاه في عصر ابن عباس وبعده عندما كثر المسلمون الجدد، وضعفت اللغة العربية وبَعُد مستواها عن لغة القرآن، وقد توالت بعد ذلك المؤلفات التي تهتم بتفسير غريب القرآن والاحتجاج بما ورد من غريب بأبيات من شعر العرب. حتى قيل أن عددها وصل إلى أكثر من ستين مؤلفا إلى وقتنا هذا.

مفهوم الشعر

ورد في كتب اللغة أن لفظة (شعر) بمعنى العلم و الدراية فجاء في لسان العرب شَعَرَ به وشَعُرَ يَشْعُر شعْراً، كله: عَلِمَ. وحكي عن الكسائي: أَشْعُرُ فلاناً ما عَمِلَهُ، وأَشْعُرُ لفلان ما عمله، وما شَعَرْتُ فلاناً ما عمله، قال: وهو كلام العرب. ولَيْتَ شِعْرِي أَي لَيت علمي أَو ليتني علمت، وليتَ شِعري من ذلك أَي ليتني شَعَرْتُ،

يا ليت شعري عنكم حنيفا وقد جَدَعْنا مِنْكُمُ الأُنُوفا

وفي الحديث: ليتَ شِعْري ما صَنَعَ فلانٌ أَي ليت علمي حاضرَ أَو محيط بما صنع، فحذف الخبر، وهو كثير في كلامهم. وأَشْعَرَهُ الأَمْرَ وأَشْعَرَه به: أَعلمه إياه. وفي التنزيل: ﴿وما يُشْعِرُكمْ أَنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾؛ أَي وما يدريكم. وأَشْعَرْتُه فَشَعَرَ أَي أَدْرَيْتُه فَدَرَى. وشَعَرَ به: عَقَلَه. وحكى اللحياني:أَشْعَرْتُ بفلان اطَّلَعْتُ عليه، وأَشْعَرْتُ به: أَطْلَعْتُ عليه، وشَعَرَ لكذا إذا فَطِنَ له. وتقول للرجل: اسْتَشْعِرْ خشية الله أَي اجعله شعارَ قلبك. واسْتَشْعَرَ فلانٌ الخوف إذا أَضمره. وأَشْعَرَه فلانٌ شَرّاً: غَشِيَهُ به. ويقال: أَشْعَرَه الحُبُّ مرضاً. والشِّعْرُ: منظوم القول، غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية، والجمع أَشعارٌ، وقائلُه شاعرٌ لأَنه يَشْعُرُ ما لا يَشْعُرُ غيره أَي يعلم. وشَعَرَ الرجلُ: قال الشعر، وشَعُرَ أَجاد الشِّعْرَ؛ ورجل شاعر، والجمع شُعَراءُ. ويقال: شَعَرْتُ لفلان أَي قلت له شِعْراً؛ وسمي شاعِراً لفِطْنَتِه. (ابن سيدة، 1321هـ، ج 1، ص: 23، ابن منظور، 1990، ص: 409).

وقال الزبيدي في معجمه ((الشعر هو العِلْمُ بدقائقِ الأمور، وقيل: هو الإدْراكُ بالحَواسّ، وبالأخير فُسِّرَ قولُه تعالى ﴿وأنْتُم لا تَشْعُرونَ﴾، وعلل صاحبُ المفردات غلبته على المنظوم بكونه مُشتملاً على دقائقِ العربِ وخفايا أسرارها ولطائفها، وهذا القولُ هو الذي مالَ إليه أكثرُ أهلِ الأدب، لرقته وكمال مناسبته، ولما بينه وبينَ الشعر مُحركةً من المناسبة في الرقة، كما مال إليه بعضُ أهلِ الاشتقاق. وقال الأزهري في تهذيب اللغة: الشعرُ: القريضُ المحدودُ بعلامات لا يجاوزها، والجمع أشعارٌ. والشاعرٌ، يشعرُ مالا يشعرُ غيره، أي يعلمُ، وقال غيره: لِفطنته، تبعاً للجوهريّ)). (الزبيدي، 1994، ج7،ص: 26).

أما الفراهيدي فيقول ((سُمِّيَ شعرا، لأن الشاعر يفطن له بما لا يفطن له غيره من معانيه. ومنه: ليت شعري، أيْ: علمي. وما يُشْعُرِكَ أي: ما يدريك. ومنهم من يقول: شَعَرْتُهُ، أي: عَقَلْتُه وفهمته)). (الفراهيدي، د.ت ج 5 ص: 212).

وصاحب مختار الصحاح فيقول ((والمتشاعر الذي يتعاطى قول الشعر و شاعره فشعره من باب قطع أي غلبه بالشعر و استشعر خوفا أضمره وأشعره فشعر أي أدراه فدري)). (مختار الصحاح، ج1، ص: 143).

بالنظر إلى كل ما تقدم من التعريفات التي وردت في كتب اللغة يتضح أن لفظة شعر هي بمعنى العلم والإدراك والتعقل والإطلاع على دقائق الأمور كما ورد في البيت (ليت شعري عنكم) أي ليت علمي عنكم، وفيه معنى الشعور والإحساس كما ورد (استشعر خشية الله، أو استشعر نعمة ربك) (واستشعر فلان الخوف) أي أحسه. وهي لفظة تطلق على كل كلام منظوم له وزن وقافية فهو شعر، وقائله يسمى شاعرا وجمعه شعراء .

وقد عرف النقاد والأدباء الشعر تعريفات كثيرة نذكر بعضا منها على النحو التالي:

يعرف ابن طباطبا العلوي الشعر بأنه ((كلام منظوم بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم بما خص به من النظم الذي إن عدل به عن جهته مجته الأسماع وفسد على الذوق. ونظمه معلوم محدد، فمن صح طبعه لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض التي هي ميزانه، ومن اضطرب عليه الذوق لم يستغن عن تصحيحه وتقويمه بمعرفة العروض والحذق به، حتى تعتبر معرفته المستفادة كالطبع الذي لا تكلف معه)). (ابن طباطبا العلوي، 1980، ص:17).

نجد هنا أن ابن طباطبا قد جعل النظم هو الفرق الوحيد بين الشعر والنثر، وأن الشاعر الموهوب الذي يتوافر لديه الذوق والحس لا يحتاج إلى معرفة ودراسة علم العروض، لأن حسه الموسقي بني على الفطرة والسليقة، أما الذي يفتقد هذا الحس والذوق هو الذي يحتاج معرفة ودراسة علم العروض ليستعين بها على تربية ذوقه الموسيقي.

أما قدامة بن جعفر فقد اهتم اهتماما شديدا بأن يحدد مدلولا دقيقا لمصطلح الشعر فعرفه بأنه ((قول موزون مقفى يدل على معنى)) (قدامه بن جعفر، 1934، ص: 13) فهو بذلك يعتبر أن الوزن والقافية من أهم عناصر الشعر التي تميزه عن النثر، فهو بهذا التعريف يحدد عناصر الشعر

وهي أربعة عناصر كما ورد بالتعريف وهي القول، والوزن، والقافية، والمعنى، وما يخالف ذلك فليس بشعر.

ونجد القاضي الجرجاني يتحدث عن مفهوم الشعر من وجهة نظره، وعن الأدوات التي يجب توافرها لدى الشاعر فيقول: ((الشعر علم من علوم العرب، يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء، ثم تكون الدربة مادة له وقوة لكل واحد من أصحابه، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز، وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الإحسان)). (القاضي الجرجاني، الوساطة، 1945، ص:14).

وللمعري تعريف للشعر يقول فيه: ((الشعر كلام موزون تقبله الغريزة على شرائط، إن بان أو نقص أبانه الحس)). (المعري، د.ت، ص: 242) والمعري في تعريفه هذا يهتم بالوزن دون القافية عكس ما سبق بيانه من تعريفات، ولعل السبب في ذلك أنه جعل الوزن يشمل القافية.

وابن سينا في كتابه فن الشعر قد عرفه بأنه ((كلام مخيل مؤلف من أقوال موزونة متساوية، وعند العرب مقفاة)) فقد اهتم ابن سينا في كتابه فن الشعر بالتخيل أكثر من اهتمامه بأي عنصر آخر للشعر فيقول: ((الكلام المخيل هو الكلام الذي تذعن له النفس فتنبسط عن أمور وتنقبض عن أمور غير روية وفكر واختيار وبالجملة تنفعل له انفعالا نفسيا غير فكري سواء كان المقول مصدقا به أو غير مصدق)) (ابن سينا، 1966، ص: 161).

أما ابن خلدون فيختلف كثيرا مع كل ما سبق عرضه من تعريفات وخاصة ما من عرف الشعر بأنه (كلام موزون مقفى) وهذا التعريف لا يرضى عنه ابن خلدون لأنه قاصر ولا يلائم إلا النظرة العروضية، ولذا فهو يعرف الشعر بقوله: ((الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والرؤى، مستقل كل جزء منها في عروضه ومقصده عما قبله وما بعده، الجاري على أساليب العرب المخصوصة به)) (ابن خلدون، 1960، ج4، ص: 1295).

يعد كلام ابن خلدون تعريفا جديدا للشعر، فأخرجه من الحدود الضيقة للتعريفات التي اعتبرت الشعر محددا في نطاق الوزن والقافية فقط، ولكن الذي يلفت النظر أكثر في هذا التعريف أنه حدد الشعر بأنه لا بد أن يجري على أساليب العرب وإذا لم يجر على أساليب العرب فهو ليس بشعر عنده.

والشعر أقدم الآثار الأدبية عهدا لعلاقته بالشعور وصلته بالطبع، وعدم احتياجه إلى رقي في العقل، أو تعمق في العلم، أو تقدم في المدنية.

ولم يحدد الباحثون بداية الشعر عند العرب فكما يقول أحمد حسن الزيات في كتابه تاريخ الأدب العربي: ((أولية الشعر عند العرب مجهولة، فلم يقع فيه سماع التاريخ إلا وهو محكم مقصد)) (الزيات، 1999، ص: 25) ((ولا بد أن يكون للشعر تاريخ طويل قطع فيه أشواطا من الصنعة والدربة حتى استقام واكتمل على هذا الشكل الموزون المقفى، ذي الأسلوب الموجز

الجميل، والخيال الخصب، والتعبير الدقيق الذي لا لغو فيه ولا تطويل، وفي لغته المتينة الجارية وفي أصول متبعة في ذلك الشعر)) (ضيف، د.ت، ص: 183).

وهذا يدل على أن صناعة الشعر عند العرب صناعة قديمة جدا لدرجة أن الباحثين لم يستطيعوا تحديد تاريخ معين لبدايته، وبالطبع لو لم يكن له تاريخ طويل لما وصل إلى هذه الدرجة من التفنن والمتانة والكمال، بل لابد أن يكون قد مرّ بمراحل كثيرة من النقد والتحسين والتطوير حتى وصل إلى هذه الدرجة من الإتقان.

ومن المعروف أن العرب هم أمة من الأمم التي اصطلح عليها المؤرخون أن يسموها سامية (نسبة إلى سام بن نوح)، وهم أكثر هذه الأمم شعرا وبلاغة في القول، لاتساع لغتهم، وملاءمة بيئتهم للخيال، ولا يوجد لديهم ما يعوق الفكر عن التأمل، ويعوق الذهن عن التفكير لارتباطهم الوثيق بالصحراء مما جعلهم أقدر من غيرهم على التخيل، لأن الفضاء أمامهم شاسع الاتساع ما بين السماء والصحراء مما يملأ الذهن والنفس خيالا وجلالا وروعة، فضلا عن أنهم أصحاب نفوس شاعرة، ونفوس ثائرة أصحاب قوة وعصبية. وكل شيء في حياة العربي في الجاهلية من الصحراء، نظام المعيشة وطريقة التفكير ونوع الشعور وكريم العادات وذميم الخصال. كل شيء كان يستمده العربي من الصحراء, فالصحراء هي التي جعلت العربي شجاعاً متفانياً في الشجاعة فخوراً إلى أبعد غايات الفخر، معجباً بقومه أشد الإعجاب. وكان العربي يغني ليروح عن نفسه، لأنه كان يعتقد أن لهذه الأغاني قوة سحرية تعينه في عمله، وتنجز له هذا العمل. و لم تكن الألفاظ عنده مجرد أصوات يقذفها اللسان، بل كانت وسائل حاسمة للتأثير في سامعيها وفي اجتذاب عدد أكبر من السامعين. من أجل ذلك كان صانع هذه الأغاني شاعراً، وكان هذا الشاعر ينتقي الألفاظ المؤثرة انتقاءً جيداً ليستحوذ بها على مشاعر السامعين، لذا كان الشعر العربي القديم شعر غنائي محض، لا يعني الشاعر فيه إلا بتصوير نفسه، والتعبير عن حسه.

وأشعر العرب وأفصحهم قريش فقد ذكر أبو فرج الأصفهاني في الأغاني فيما يخص تحكيم قريش في أمر الشعر، ((كانت العرب تعرض أشعارها على قريش، فما قبلوه كان مقبولاً، وما ردوه كان مردوداً)). (الأصفهاني، 1935 ، ص: 201).

والشعر بمثابة السجل الذي دونوا فيه كل ما يخص حياتهم ومعيشتهم، فهو يسجل بطولاتهم وأمجادهم، وبأسهم وشدهم، وعصبيتهم وغضبهم، وكرمهم ووفاءهم، وسجل خصال الخير وداعي الشر، وسجل أيامهم ووقائعهم وأصولهم وأنسابهم، فهو على ذلك ديوانهم كما قال أبو هلال العسكري: ((كذلك لا نعرف أنساب العرب وتواريخها وأيامها ووقائعها إلا من جميلة اشعارهم، فالشعر ديوان العرب وخزانة حكمتها، ومستنبط آدابها ومستودع علومها)) (أبو هلال العسكري، 1952، ص: 138).

وقد روي أن عمر بن الخطاب قال في خطبة له: أيها الناس، عليكم بديوانكم لايضلُّ. فقالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم. (الرازي، 1415هـ/1994 م، ص: 125). فلمّا

كان كذلك راضَ الناسُ أنْفُسَهم بتعلُّم العربيّة، و لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً أوضح من الشعر، فحفظوا دواوين الشعراء، وأحكموها .

موقف الإسلام من الشعر

لم يقف الإسلام موقف المحارب للشعر، المهاجم له، بل حارب شعراء المشركين الذين هاجموا الرسول ﷺ وتصدوا لدعوته. هذا خلافا لمن ادعوا أن الإسلام نبذا الشعر و اتخذ منذ البداية موقفاً حذراً منه أدى إلى إطفاء جذوته المشتعلة قبل الإسلام وإلى إضعاف مستواه, وكان أول من أشار إلى ذلك الأصمعي في قولته المشهورة (الشعر نكد يقوى في الشر فإذا دخل في الخير لان وضعف).

فقد روي عن النبي ﷺ قوله: "إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا، وَإِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً" (البخاري، رقم: 6145).

وقد كان الرسول ﷺ يسمع الشعر ويرتاح له، ويكافىء المجيد ويشجعه كما كان يشجع حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة عندما كان يهجو الكفار والمنافقين. وقد كانت آراء الرسول ﷺ ومواقفه عامل إثراء للشعر وتقدير للشعراء، فقد روى عنه أنه قال : ((إنما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه)) (ابن رشيق، 1985م، ج 1، ص:27).

وفي ذلك قال السبكي ((وأما الشعر فقد سمعه النبي ﷺ، وقال: إن منه لحكمة" ونطق به جماهير الصحابة، وعدد بالغ من أحبار الأمة، وإمامنا الشافعي رضي الله عنه مقدم التاليين للصحابة رضي الله عنهم)) (السبكي، 1976، ج1، ص 220).

ويقول الدكتور شوقي ضيف: ((فإن الشعر في حياة الرسول ﷺ كان يجري على كل لسان، ويكفي أن نرجع لسيرة ابن هشام، فسنرى سيولاً تتدافع من كل جانب، وحقاً فيها شعر موضوع كثير، ولكن حينما يصفى، وحين نقابل عليه ما ارتضاه ابن سلام وغيره من الرواة الموثوق بهم، نجدنا إزاء ملحمة ضخمة تعاون في صنعها عشرات من الشعراء و الشاعرات)) (ضيف، د.ت، ص: 28)

وقد كان شعراء المسلمين من الأنصار والمهاجرين ينظمون شعراً يمتاز بالجودة والأصالة، ويستجيب لآداب الإسلام ومبادئه، ويعبر عن قاموسهم اللغوي، من المعاني الجديدة التي أضفاها الإسلام على كثير من المفردات مهتدين بتوجيهات الرسول ﷺ في التعبير عن الوجه الإسلامي الجديد، الذي يطمح إلى الشهادة ويفخر بالجهاد والانتصار على أعداء الله، ويبحث عن الجزاء في الآخرة لا في الدنيا، وكل ذلك في إطار أسلوبي جديد يتميز باليسر والسهولة والوضوح، بعيداً عن التكلف والمبالغة والتقصير والفحش، وكان النبي ﷺ يعرف أن الشعر لصيق بالنفس العربية، ويؤدي في المجتمع العربي وظائف أساسية، ومن ثم قال عليه الصلاة والسلام: "إن هذا الشعر سجع

من كلام العرب، به يعطى السائل، وبه يكظم الغيظ، وبه يؤتى القوم في ناديهم ويقول أيضا: ((لا تدع العرب الشعر حتى تضع الإبل الحنين)) (السبكي، 1976، ج1، ص: 224).

وروي أن النبي ﷺ قد دعى شعراء الإسلام إلى هجاء المشركين والرد على شعرائهم، وعد ذلك ضربا من الجهاد. حيث جمع الأنصار وقال لهم: ((ما يمنع القوم الذين نصروا رسوال الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟ فقال حسان بن ثابت: أنا لها. وأخذ بطرف لسانه، وقال: والله ما يسرني به مقاول بين البصرى وصنعاء. فقال : كيف تهجوهم وأنا منهم؟ إني أسلُّك منهم كما تُسلُّ الشَّعرةُ من العجين)) (الأصفهاني، 1935، ج4، ص: 137، العسقلاني، 1978، ج 22، ص: 353). فكان الشعر يستخدم كسلاح من أسلحة المسلمين للدفاع عن الإسلام وهجاء المشركين، وقد أيد النبي ﷺ الشعراء في هجاء المشركين لأن هذا الهجاء قد يحقق مالا يحققه الجهاد والقتال. ففي حديث كعب بن مالك قوله: قال لنا رسول الله "اهجوا المشركين بالشعر. فإن المؤمن يجاهد بنفسه وماله، والذي نفس محمد بيده كأنما تنضحونهم بالنبل" (الأصفهاني، 1935، ج4، ص: 143). بالتأمل في هذا الحديث نجد النبي ﷺ قد أشار إلى أن قول شعراء المسلمين في الكفار نوع من الجهاد، حيث قارنه بالنبال التي تستخدم في الحرب، كما أفصح عن قيمة أخرى للشاعر المؤمن الذي ينتصر لدينه حتى يشعر بالفخر والسعادة وهي: أنه لا يقف وحده في الميدان، بل إن جبريل معه ويؤيده، فقد روى عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يضع لحسان منبرا في المسجد يقوم عليه قائما، يفاخر عن رسول الله، ورسول الله يقول: ((إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو فاخر عن رسول الله)). (الحاكم، د.ت، ج3، ص: 487).

وقد كان النبي يسمع الشعر ويستحسنه، بل ويستنشده ويستزيد منه، فمن ذلك ما رواه: عمرو بن الشريد بن سويد الثقفي عن أبيه قال: ((ردفت رسول الله ﷺ يوما، فقال: هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟ فقلت نعم، قال" هِيْهِ، فأنشدته بيتا، فقال:هيه، ثم أنشدته بيتا، فقال: هيه، حتى أنشدته مائة بيت)).

وقال رسول الله ﷺ:

"فَلَقَدْ كَادَ يُسْلِمُ فِيْ شِعْرِهِ"

(مسلم، الشعر، رقم: 2255).

وروى الأصمعي أن رجلاً جاء النبي صلى الله عليه وسلم وانشده :

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا وأنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

قال له إلى أين يا أبا ليلى؟ فقال إلى الجنة يا رسول الله بك فقال : إلى الجنة إن شاء الله فلما انتهى إلى قوله :

ولا خير في حلم إذا لم تكن له بوادر تحمى صفوه أن يكدرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

قال النبي ﷺ: "لا يفضض الله فاك". (الأندلسي، 2008، ص: 276). وكان يسمع السيدة عائشة رضى الله عنها تنشد:

ارفع ضعيفك لا يحر بك ضعفه يوماً فتدركه عواقب ما جـــنى
يجزيك أو يثنى عليكم فإن من أثنى عليكم بما فعلت كمن جزى

فقال النبي ﷺ: "صدق يا عائشة إنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس" الأندلسي، د.ت، ص: 276). وكان الصحابة يستهدون بالشعر، وبعضهم يقوله، وكثير من علماء الأمة الإسلامية والفقهاء والقضاة كانوا يرددون الشعر ويحفظونه وينظمونه وهم من صفوة الناس تقيّ وورعا، ولو كان فيه محظورا لما تفوهو به أصلا. وهذا كله يؤدي بنا إلى حقيقة مهمة وهي: أن موقف الإسلام من الشعر واضح لا لبس فيه، ومن يناقش ويكثر الجدال في هذه المسأله بدون علم ولا روية، لو أنه رجع إلى المصادر الإسلامية لرأى الأمثلة الكثيرة التي تدلل على أن الإسلام لم يقف من الإسلام موقف العداء، بل يرى أن النبي ﷺ كان يسمع الشعر ويرتاح إليه، وكان يشجع الشعراء ويدعوا لهم فقد قال لحسان: (اهجهم وجبريل معك). وكان حريصا على أن يوجه الشعر وجهة إسلامية جديدة بعيدة عن الروح الجاهلية، وجهة تدعو إلى الخير والحق والفضيلة، وتحارب الشرك والوثنية والرزيلة. وجاء موقف القرآن أيضا مؤيدا لهذا القول، فلو تتبعنا ما ورد فيه عن لفظة الشعر والشعراء لوجدناها وردت في ستة مواضع خمسة منها جاءت في سياق محاولة الكفار إلصاق اتهامات باطلة وصفات كاذبة برسول الله ﷺ، والآية السادسة جاءت لتفرق بين الشعراء الكافرين والمؤمنين، وهي كالتالي:

1-﴿بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ﴾. (الأنبياء، 21: 5).
2- ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ﴾. (الصافات 37: 36).
3- ﴿أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ﴾. (الطور، 52: 30).
4- ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ﴾. (الحاقة، 69: 41).
5- ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ﴾ (يس، 36: 69).
6- ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ، أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ ، وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ، إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ،﴾ (الشعراء: 224- 227).

جاءت الآيات الثلاثة الأولى لتبين موقف المشركين من القرآن واعتبروه نوع من الشعر، ووصفهم النبي ﷺ بالشاعر، وهذا هجوم شنه الكفرة على الدين الجديد وصاحبه معتمدين على جمال النسق القرآني المؤثر، الأمر الذي يجعل الناس قد تخلط بينه وبين الشعر. وجاءت الآيتان (4-5) للرد على هذا الموقف وتؤكد أن ما جاء به محمد ﷺ ليس شعراً، وأن محمدا لم يعلم الشعر. وفي هذه الآيات لا يتحدث القرآن عن الشعر من حيث هو فن يجوز للمسلم أن يتعلمه أو يقوله، بل جاءت لتنفي ما رددده المشركون من وصف النبي بالشاعر وأن ما جاء به هو من عند الله رب العالمين. أما الوضع الذي تناول فيه القرآن لفظة شعر من حيث هو فن يمكن أن يستخدم في

مواطن الخير والشر جاء في نهاية سورة الشعراء، حيث فرق بين شعراء الكفار وشعراء المسلمين، والمتأمل في هذه الآيات يرى أنها لم تحارب الشعر لذاته، وإنما حاربت من سار من الشعراء على منهج الأهواء والانفعلات، وأكاذيبهم التي يرددونها في شعرهم، وضلالهم عن الحق. لذا جاءت الآيات لتصف الشعراء بأنهم يجاريهم ويسلك مسلكهم الغاوون الضالون عن سنن الحق، وأنهم ينظمون شعرهم في كل الفنون دون التمييز بين ما هو صالح أو غير ذلك.

قال الحسن البصري: ((قد والله رأينا أوديتهما التي يخوضون فيها، مرة شتيمة فلان، ومرة مديحة فلان)) (مكي، 1996، ص: 36). وبعد ما ذكر سبحانه وتعالى شعراء الضلال، وعدد صفاتهم، استثنى عز وجل من جنس الشعراء شعراء الإيمان، ووصفهم بصفات لا توجد في غيرهم فقال سبحانه:

﴿إِلا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾

(سورة الشعراء، 26: 228)

جاء هذا الاستثناء ليبين حال الشعراء من المؤمنين وفضلهم في الجهاد ضد أعداء الدين الجديد وأعداء الله. وأوضح الزمخشري المرادين بهذه الصفات "هم المؤمنون الصالحون الذين يكثرون ذكر الله، وتلاوة القرآن وكان ذلك اغلب عليهم من الشعر، وإذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله والثناء عليه، والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة، ومدح الرسول ﷺ والصحابة وصلحاء الأمة، ..." (مكي، 1996، ص: 37).

فحقيقة القرآن لم يحارب الشعر بصفة عامة، بل حارب منه ما يخالف الدين ويخالف ضوابطه الأخلاقية، فالشعر في نفسه لا بأس فيه إلا إذا استخدم فيما يخالف الدين قال رسول الله ﷺ ((إنما الشعر كلام مؤلف، فما وافق الحق منه حسن، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه)). (مكي، 1996، ص: 37).

الاستشهاد بالشعر في تفسير القرآن:

يعتبر التفسير من أقدم علوم القرآن نشأة، فقد واكب نزول الوحي على النبي ﷺ، حيث كانت هناك ضرورة ملحة لحاجة الناس إلى نوع من البيان يتناول ما غمض من نصوصه، وكان المبين الأول للقرآن الكريم هو النبيﷺ لقوله تعالى:

﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾

(النحل، 16: 44).

ففي عهده كان الصحابة يرجعون إليه ليبين لهم ما صعب عليهم فهمه، فلما انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى كان الأمر في البيان يرد إلى ما أثر عنه في ذلك وإلى اجتهادات الصحابة الذين

عايشوا التتزيل وأحاطوا بأسباب نزوله، وبرز من بين هؤلاء الصحابة: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير، أما الخلفاء فأكثر من روي عنه منهم علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– والرواية عن الثلاثة نزرة جدا، وكان السبب في ذلك تقدم وفاتهم، وأجدر هؤلاء العشرة جميعا بلقب المفسر هو عبد الله بن مسعود. (السيوطي، 2003، ج1، ص: 318).

وما نُسب لكل الصحابة من تفسير لا يقاس إلى ما نُسب لابن عباس، فهو أكثر الصحابة تفسيراً، وقد حمل تفسيره الكثير من التابعين. وهو يعد المؤسس الحقيقي لعلم التفسير فهو الذي نهجه ووضع أصوله، واشتهر بأنه يرجع إلى أهل الكتاب في قصص الأنبياء، وأنه كان يعتمد على الشعر القديم في تفسير ألفاظ القرآن الكريم. (ضيف، د.ت، ص: 29).

ويحتاج كل من يتعرض للتفسير إلى المعرفة الكاملة بلغات العرب، قال الإمام الشافعي:"إذ من المعلوم أن لكل قبيلة لغتها، وأفصح اللغات لغة قريش إلا أن هناك بعض الكلمات في القرآن جاءت على غير لغة قريش. (السيوطي، 2003، ج2، ص:161). لذا يجب على كل من يخوض في تفسير كتاب الله أن يتمكن أولا من اللغة وعدم الخوض بالظن، فإذا نظرنا إلى الصحابة_ وهم من العرب العرباء وأصحاب اللغة الفصحى، ومن نزل القرآن عليهم وبلغتهم _ نجدهم قد توقفوا في ألفاظ لم يعرفوا معناها، فلم يقولوا فيها شيئاً. فأخرج أبو عبيدة في الفضائل، أن أبا بكر الصديق سُئل عن قوله تعالى:

﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾

(عبس، 80: 31).

فقال: أي سماء تُظلني، أو أي أرض تُقلّني، إن أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم. وقد أشكل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه معنى قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ فقام في المسجد فسأل عنها فقام إليه رجل من هذيل فقال معناها: "على تنقص"، ودليله قول شاعرنا الهذلي يصف سرعة ناقته:

تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النَّبْعة السَّفِن

أي:أخذ الرحل يحتك بسنام الناقة من سرعتها، حتى كاد ينقص كما يبري البحار عود السفينة بالسكين لينقص منها. فقال عمر: أيها الناس عليكم بديوانكم لا يضل. فقالوا وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم .(السيوطي، 2003، ج1، ص:229). لذا كانت معرفة لغات العرب ضرورة وشرط من شروط التفسير، فكان مالك بن أنس يحذر غير العالم بلغات العرب أن يجترئ على تفسير كتاب الله فيقول: ((لا أوتي برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالا. وقال مجاهد: " لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب)). (الزركشي، د.ت، ج1، ص:368). وعلى هذا المنوال بدأ الصحابة والتابعون، وعلماء التفسير يهتمون اهتماما كبيرا بدراسة علوم العربية وخاصة الشعر

العربي باعتباره مصدرا من مصادر اللغة العربية، وبدأ يعتمد عليه كل من كتب في علم الغريب ومعاني القرآن، وحتى خطباء المساجد كانوا يدعمون كلامهم بشواهد من أشعار العرب. وبدأت شواهد الشعر في تفسير معاني القرآن الكريم تحتل مكانة عظيمة حيث استمر استخراج العلماء لهذه الشواهد من ديوان العرب وتضخم عددها حتى كان أبو بكر محمد بن القاسم ابن الأنباري يحفظ ثلاثمائة ألف شاهد على ألفاظ القرآن. (السيوطي، 1384، ج1، ص:212) وهو عدد ضخم لو وصل إلينا لوصلتنا ثروة لغوية وتفسيرية لا تقدر بثمن، وقد ذكر محمد أبو الفضل إبراهيم في تحقيق كتاب إنباه الرواة على أنباه النحاة أن أبو عبدالرحمن البغدادي صنف كتابا في غريب القرآن استشهد فيه على كل كلمة من القرآن بأبيات من الشعر(القفطي، 1406، ج2، ص: 151). وقد برع من قبل في هذا المجال ابن عباس حيث كانت أغلب جهوده منصرفة إلى هذا الجانب وأعانه على ذلك ما كان له من علم استقاه من رسول الله ﷺ وملازمته لكبار الصحابة، إلى جانب معرفته الواسعة بكلام العرب وبأحولهم، وآدابهم وأساليبهم، وأكد على ذلك في قوله: التفسير أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر أحد بجهله وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه أحد إلا الله (ابن كثير، د.ت، ج1، ص6).

وروي عن ابن عباس الكثير من الروايات التي تؤكد تميزه في هذا المجال، حيث كانت له مجالس واسعة تعقد لهذا الغرض، يفد إليه الناس من كل حدب وصوب، وكان يقول: "إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإنه ديوان العرب" (السيوطي، 2003، ج1 ، ص: 242). وفي ذلك يقول عطاء "ما رأيت أكرم من مجلس ابن عباس، أصحاب الفقه عنده، وأصحاب القرآن عنده، وأصحاب العربية والشعرعنده، يصدرهم كلهم من واد واسع" (الذهبي، د.ت، ج1، ص: 46).

وقد روي لابن عباس الكثير من المواقف التي كان يستشهد فيها بالشعر وأشهرها مسائل نافع بن الأزرق أحد زعماء الخوارج، وأجوبة ابن عباس عنها، وقد بلغت مائتي مسألة، أخرج بعضها ابن الأنباري في كتابه الوقف والابتداء، وأخرج الطبراني بعضها الآخر في معجمه الكبير. (الذهبي، ج1، ص51).

وذكر السيوطي في كتابه الإتقان بسنده ذلك الحوار الطويل الذي دار بين ابن عباس ونافع بن الأزرق، وفيه ما يوضح قدرة ابن عباس الهائلة على الرد والاستشهاد لكل سؤال عن معاني كلمات القرآن الكريم بأبيات من الشعر القديم, فعن حميد الأعرج وعبد الله بن أبي بكر بن محمد، عن أبيه قال: "بينا عبدالله بن عباس جالس بفناء الكعبة، قد إكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن، فقال نافع لصاحبه نجدة بن عويمر: قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لاعِلْمَ له به. فقاما إليه فقالا: إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسِّرها لنا، وتأتينا بمصداقه من كلام العرب، فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين". فقال ابن عباس: سَلاني عمَّا بدا لكما تجدا علمه عندي حاضراً إن شاء الله. فقال نافع: أخبرنا عن قول الله تعال:

﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾

(المعارج، 70: 37).

قال: العزون: حلق الرفاق. قال: وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال: نعم أما سمعت عبيد بن الأبرص يقول:

فجاؤوا يُهْرَعون إليه حتى يكونوا حول منـــْبره عزينا

قال نافع: أخبرني عن قول الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾

(لمائدة، 5: 35).

قال :الوسيلة: الحاجة. قال: أوتعرف العرب ذلك ؟ قال: نعم أما سمعت عنترة العبسي وهو يقول:

إنَّ الرجالَ لهم إليك وسيلةٌ إن يأخذوك تكحَّلي وتَخَضَّبي

قال نافع: أخبرني عن قوله تعالى:

﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا﴾

(المائدة، 5: 48).

قال: الشرعة: الدين، والمنهاج: الطريق، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهويقول:

لقد نطق المأمون بالصدق والهدى وبين للإسلام ديناً ومنهجاً

قال نافع : أخبرني عن قوله تعالى:

﴿إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓ﴾.

(الأنعام، 6: 99).

قال ابن عباس : نضجه و بلاغه قال نافع وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال ابن العباس :نعم، أما سمعت قول الشاعر

إذا ما مشت وسط النساء تأودت كما أهتز غصن ناعم النبت يانع

ويمضي نافع يسأل، وابن عباس يُفَسِّر ويستشهد على تفسيره بأبيات من الشعر إلى آخر المسائل وأجوبتها. (السيوطي،2003، ج1، ص242). وقد حقَّق هذه المسائل الدكتور إبراهيم السامرائي بعنوان (سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس) .وهذا يدل على قوة ابن عباس في معرفته الواسعة بلغات العرب، وإلمامه بغريبه، إلى حد لم يصل إليه غيره، مما جعله بحق إمام التفسير في عهد الصحابة، ومرجع المفسرين في الأعصر التالية للعصر الذي وجد فيه. وزعيم هذه الناحية من التفسير على الخصوص، حتى لقد قيل في شأنه ((إنه هو الذي أبدع الطريقة اللغوية لتفسير القرآن)) (الذهبي، د.ت، ج1، ص52). وفي هذا يقول الدكتور رمضان عبد التواب:

((وبذلك يمكننا أن نَعُدَّ تفسير ابن عباس للقرآن على هذا النحو نواةً للمعاجم العربية، فقد بدأت الدراسة في هذا الميدان من ميادين اللغة بالبحث عن معاني الألفاظ الغريبة في القرآن الكريم)). (عبدالتواب،1983 ،ص:110). وقد نهج عكرمة منهج ابن عباس في الاستشهاد بالشعر، حيث سئل عن الزنيم فقال: هو ولد الزاني وتمثل ببيت من الشعر: زنيم ليس تعرف من أبوه بغي الأم ذو حسب لئيم. (الزركشي، د.ت، ج1، ص:368)

ومع مرور الأيام وابتعاد الناس عن عصر نزول الوحي تزايدت الحاجة إلى معرفة غريب القرآن، وتزايدت المؤلفات التي تخدم هذا الجانب وتابع هذا الاتجاه علماء العربية والتفسير، وقد حفلت كتب إعراب القرآن وتفسيرة بمادة غزيرة من الشعر العربي الفصيح، فقد تجاوزت الشواهد الشعرية في كتب التفسير وغريب القرآن ومعانيه آلاف الأبيات من الشعر العربي. واستمر الاستشهاد بالشعر إلى عهد التابعين ومن يليهم، إلى أن حدثت خصومة بين متورعي الفقهاء وأهل اللغة، فأنكروا عليهم هذه الطريقة وقالوا: "إذا فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلاً للقرآن، وقالوا : وكيف يجوز أن يحتج بالشعر على القرآن وهو مذموم في القرآن والحديث؟ (السيوطي،2003، ج1، ص: 119). ولكن هذا الادعاء ليس له أساس من الصحة لأن القرآن نزل بلسان عربي.

قال الله تعالى:

﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾.

(الزخرف، 43 :3).

وقال الله تعالى:

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّ مُّبِينٍ﴾

(النحل، 16: 103).

والأمر لا يتعدى حدود الرجوع إلى الشعر العربي لمعرفة معاني بعض الألفاظ التي لا يفهمها الناس، وكما ذكرنا أنه كلما ابتعد الناس عن عصر نزول الوحي واختلط العرب بغيرهم، ودخل كثير من غير العرب في الإسلام.كانت هناك حاجة لبيان ما يشكل عليهم من بعض ألفاظ القرآن ولهذا اعتمد كثير من المفسرين على الشعر والاستشهاد به على المعنى الذي يذهبون إليه في فهم كلام الله تعالى. قال ابن عباس: " الشعر ديوان العرب فاذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي انزله اللّه بلغة العرب رجعنا الى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه" (السيوطي،2003، ج2 ، ص:119).

ودور الشعر لم يقف عند حد تفسير غريب القرآن فحسب، بل تعدى هذا إلى الكشف عن أسرار الأسلوب القرآني وإعجازه، وتفوُّقه على أعلى مراتب الشعر البليغ الذي كانت العرب تحتفل به أيَّما احتفال، وهي الخبيرة بمواقع النظم الرفيع، وللجرجاني في كتابَيْه "الدلائل" و "الأسرار"، وللباقلاني في "إعجاز القرآن"، جولات واسعة في هذا الحقل، حيث وازن هؤلاء الأئمة بين أسلوبَيْ القرآن والشعر، وعرضوا أمثلة وافية، وذلك لأنَّ الشعر ديوان العرب نظم فيه

أصحابه عصارة بيانهم وصفوة بلاغتهم .ويرى عبد القاهر الجرجاني ((أنه لَمَّا كان الشعر ديوان العرب كان محالاً أن يَعْرِف القرآنَ معجزاً مِنْ جهة فصاحته إلا مَن عرف الشعر)). (الجرجاني، د.ت، ص7).

الخاتمة

من المعلوم أن الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن الكريم على نبينا المصطفى محمد ﷺ بلسان عربي مبين، ولكل من يتعرض لتفسير هذا الكتاب العظيم لا بد وأن يتمكن من اللغة العربية حتى يفهم مراد الله من كلامه. ولما كان الشعر العربي ديوان العرب، وسجل فيه العرب كل ما اشتملت عليه حياتهم، اعتمد كثير من المفسرين عليه لتفسير ما يشكل عليهم من كتاب الله عز وجل، وبهذا يكون للشعر دور كبير في تفسير القرآن حيث استمرت شواهد الشعر تجري فيما أُلف حول القرآن الكريم من كتب تهتم بمعاني القرآن ومجازه وبيانه إعرابه وتفسيره حتى قيل أن ابن الأنباري كان يحفظ ثلاثمائة ألف شاهد على ألفاظ القرآن.

وأخيرا أختم قولي بعرض موجز لأهم النقاط التي اشتمل عليهم موضوع المقال وأهم النتائج التي توصلت إليها وهي كالتالي:

1 – أن الشعر لعب دورا بارزا في نشر رسالة الإسلام عبر التاريخ، حيث قام شعراء الإسلام بواجبهم في دعم مسيرة الدعوة الإسلامية، وتصدوا بشجاعة لكل من أراد النيل من الإسلام والمسلمين والتشكيك في رسالته.

2 – أن الإسلام لم يقف موقف المعادي للشعر، و لم يذمه كما اعتقد البعض، بل هناك كثير من الروايات توضح تشجيع النبي للشعراء المسلمين على قول الشعر، وكان النبي يستمع للشعر ويستمتع به، وكذلك كان يفعل الصحابة. والقرآن لم يذم جموع الشعراء، بل ذم المنافقين والكذابين منهم الذين يوظفون هذا الفن الراقي للتكسب على حساب القيم والفضائل.وقد مدح الشعراء الصالحين الذين وظفوا هذا الفن الراقي لخدمة الحق والعدل والفضيلة بقوله:(إلا الذين آمنوا).

3 – أن الشعر العربي مدّ حركة التفسير القرآني بزخيرة كبيرة من المعاني، كما مدّ معاجم اللغة وكتب النحو والصرف والبلاغة بشواهد كثيرة تساهم في تأصيل علومها. مما جعل الشعر العربي فنا قائما بذاته، وفرعا من فروع المعرفة اللغوية والبيانية التي تخدم القرآن. وليس معنى أننا نستشهد بالشعر جعلناه الشعر أصلا والقرآن فرعا كما يعتقد البعض، بل هو مجرد بيان للحرف الغريب من القرآن بالشعر، لهذا لا يوجد حرج في ذلك.

هذا وأسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه ولخدمة كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه، وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم.

وأعتذر من القارئ العزيز عن الهفوات والخطأ والنسيان التي هي من صفات بني آدم، والله من وراء القصد .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن خلدون. 1960 . **مقدمة بن خلدون.** ج4 . ت: عبدالواحد وافي . القاهرة.

ابن سينا. 1966 **فن الشعر من كتاب الشفاء** .ت: دكتور بدوي. القاهرة.

ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي. 1414هـ / 1994. **تفسير القرآن العظيم** . علق عليه عبدالقادر الأرناؤوط. ط 1. دمشق. دار الفيحاء.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري. د.ت. **لسان العرب.** بيروت.

الأصفهاني، علي بن الحسين أبو فرج. 1935. **الأغاني.** بيروت. مؤسسة جمال للطباعة والنشر.

الأندلسي، أبو المطرف عبدالرحمن بن مروان القنازعي القرطبي. 1429هـ / 2008. **تفسير الموطأ.** ت عامر حسن صبري. ط 1.

البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل. د. ت. **صحيح البخاري.** بيروت. عالم الكتب.

الجرجاني، القاضي علي بن عبدالعزيز. د.ت. **الوساطة بين المتنبي وخصومه.** ت: أبو الفضل إبراهيم البجوي ط2.

الذهبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد شمس الدين. د. ت. **معرفة القرّاء الكبار.** ط1. ت: محمد سيد جاد الحق. القاهرة.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر. 2002. **مختار الصحاح.** ت: أحمد إبراهيم زهوة. بيروت. دار الكتاب العربي.

الرازي، أبو حاتم أحمد بن حمدان. 1994. **الزينة في الكلمات الإسلامية العربية.** ت:حسين ابن فيض الله الهمداني. ط1. اليمن. مركز الدراسات والبحوث.

الزبيدي، محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الوسطي الحنفي. د.ت. **تاج العروس من جواهر القاموس.** بيروت. دار الفكر.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله. 1422هـ / 2001. **البرهان في علوم القرآن.** علق عليه مصطفى عبدالقادر عطا. بيروت. دار الكتب العلمية.

الزيات أحمد حسن. 1999. **تاريخ الأدب العربي.** ط5. بيروت. دار المعرفة.

السبكي، تاج الدين عبدالوهاب بن علي 1383هـ / 1964. **طبقات الشافعية الكبرى.** ط1. ت: عبدالفتاح الحلو ومحمود الطناجي. القاهرة. مطبعة عيسى الباب الحلبي.

السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر 1424هـ / 2003. **الإتقان في علوم القرآن.** علق عليه محمد سالم هاشم. بيروت. دار الكتب العليمة.

السيوطي، جملال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. 1384هـ. **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة.** ط1. ت: محمد أبو الفضل إبراهيم الباب الحلبي. مصر مطبعة عيسى.

العاني، سامي مكي. 1996. **الإسلام والشعر**. سلسلة منشورات عالم المعرفة. الكويت. المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب.

العسقلاني، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن حجر. 1413هـ / 1993. **تهذيب التهذيب**. ط2. بيروت. دار إحياء التراث.

العسكري، أبو هلال. 1952. **الصناعتين**. ت: أبو الفضل إبراهيم البيجاوي. القاهرة.

العلوي، ابن طباطبا محمد بن أحمد، 1956. **عيار الشعر**. ت: الحاجري و إبراهيم سلام. القاهرة.

الفراهيدي، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد. د.ت. **كتاب العين**. ت: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي. دار مكتبة الهلال.

القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف. 1406 هـ. **إنباه الرواة على أنباه النحاه**. ط1. ت: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة. دار الفكر العربي.

القيرواني، أبو علي حسن بن رشيق. 1985. **العمدة في صناعة الشعر ونقده**. ط1. ج1-2. القاهرة.

ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي. 2000 المحكم والمحيط الأعظم. بيروت. دار الكتب العلمية.

أبو العلاء المعري. 1938. **الفصول والغايات**. ت: محمود زناتي. القاهرة.

أحمد بن حنبل. د. ت. **مسند الإمام أحمد**. بيروت. دار الكتب العلمية.

رمضان عبدالتواب. 1983. **فصول في فقه اللغة**. القاهرة. مكتبة الخانكي.

ضيف شوقي. د.ت. **تاريخ الأدب العربي 2**. العصر الإسلامي. ط14. مصر. دار المعارف.

عبدالقاهر الجرجاني. د.ت. **دلائل الإعجاز**. مصر. مطبعة السعادة.

مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسبوري. 1419هـ/ 1999. **صحيح مسلم**. 5 أجزاء. بيروت دار ابن كثير.